



كسب الأتراك تعاطف المستشار الألمانية أنجيلا مركل في مطالبهم بمنطقة حظر جوي شمال سوريا، تلي مصالح الجانبين في وقف طوفان النازحين واللاجئين إلى أوروبا، عبر البوابة التركية وغيرها. لكن أنقرة لن تكسب بالتأكيد قبولاً أميركياً غربياً لدعوتها إلى عملية برية في سوريا، تراها مخرجاً وحيداً لوقف الحرب.

كسبت تركيا مزيداً من العداء الروسي وشماتة دمشق وطهران وحلفائهم، خصوصاً مع تقدم قوات حماية الشعب الكردية باتجاه الحدود السورية. التركية وخرق الخطوط الحمر التي تتشبث بها أنقرة. أما موسكو فكان ولا يزال سهلاً عليها أن تراكم الكثير في سجل الارتكاب بأهدافها الخفية وراء تعويم نظام الرئيس بشار الأسد، وقلب ميزان القوى على الأرض، لشطب كل التضحيات التي قدمتها المعارضة المسلحة، على مدى خمس سنوات من الحرب.

وإذا كان السؤال الذي يستهوي كثيرين طرحة، خصوصاً لدى حلفاء النظام السوري، هو متى تنطلق شرارة المواجهة العسكرية بين أنقرة وموسكو، فالمواجهة بدأت وتستمر بالوكالة.

يتراشق الكرملين والأتراك بـ «الاستفزاز» و «العدوانية»، تحذر موسكو من حرب عالمية إذا بدأ تدخل عسكري بري تحت غطاء التحالف الدولي... تحذر أنقرة من اللعب بالخطوط الحمر التي رسمتها في شمال سوريا، وتتوعد بثمن باهظ لسقوط أعزاز. ولكن، هل تقوى تركيا على خوض حرب مباشرة مع الدب الروسي الذي يسرح ويمرح في الفضاء السوري، ويحمو بالغارات موقع المعارضة السورية المسلحة، بذريعة مطاردة الإرهابيين و «داعش»؟

الأرجح أن لا ترکيا جاهزة لحرب مع الروس لا تعرف كيف تنتهي، في ظل هواجس إزاء تشجيع الطموحات الكردية في سورية، ولا واشنطن رئيس حربة الحلف الأطلسي تتقبل تبعية الحلف لحرب شاملة مع الخصم العنيد الذي بات يتحكم بمسار الحرب السورية، مصراً على الدفاع عن «شرعية» الأسد.

ما لا تقر به تركيا علينا، هو مخاوف من الأهداف الخفية للروس التي قد تتجاوز سوريا، في ظل محاولات لفرض خرائط

وقائع جديدة في المنطقة. يفاصم ارتياح الأتراك خيبة أمل كبرى من الموقف الأميركي الذي انحاز إلى الأكراد، رغم كل الأمان التي دفعتها أنقرة لاحتواء موجات النزوح عبر الحدود، والقلق الأمني من الاختراقات الاستخباراتية الروسية والسورية.

ولدى الرئيس رجب طيب أردوغان ورئيس وزرائه أحمد داود أوغلو، تراكم سُحب الشكوك من النيات والأهداف الأميركية التي سلمت قيصر الكرملين كل الأوراق السورية، ونامت على حrir نزع الأنباب الكيماوية السورية، لطمئن إسرائيل إلى أنها، لعشرات السنين... وتمرر واشنطن الاتفاق النووي مع إيران.

إسرائيل التي لم يعد هناك ما يخيفها بين جبهات الحروب المتنقلة على الأراضي السورية، «نفضت» يديها من وحدة البلد، ولن يقلقها حتماً لو استمر التطاحن بين ما تصفه بـ «جيوب طائفية»، ستنهض على أنقاض الدولة.

ولكن، قبل تقصي المشاريع الصامدة في المذابح الصارخة، قد يجدر ما بعد ميونيخ، البحث في ما إذا كان النظام السوري بدأ التملل من «الرعاية» الروسية المُطبقة عليه، والرهان مجدداً على «وفاء» طهران له. وإنما معنى أن يبدو الأسد بأنه يتطلع لعرقلة خطوة وقف العمليات القتالية، والتي تبنتها موسكو، فيعتبرها مستحيلة في غضون أسبوع. ويجهد الرئيس السوري الذي لا ترى روسيا في يديه قرار عملياتها العسكرية ولا نطاقها الجغرافي، فيعتبر أن الإرهابي هو كل منْ حمل السلاح ضد الدولة... وهذا يستتبع رفض التفاوض مع المعارضة المسلحة، فيما التنصل من هيئة الحكم الانتقالي «الخارجية على الدستور»، رفض صريح لبيان «جنيف 1».

واضح أن تصعيد الأسد، بعدما استقوى نظامه بالغازات الروسية الجراحية، واستبق مهمة الموفد الدولي دي ميستورا في دمشق، لا يرجح حظوظ نجاح الأخير في معاودة المحادثات مع الحكم والمعارضة في 25 شباط (فبراير) الجاري. ولعل النظام السوري يراهن على مواجهة مسلحة عسيرة لكل من روسيا وتركيا، فتبديل الأولى أهدافها، وتلعق الثانية جروح دعمها للمعارضة المسلحة لذاك النظام الذي يظن أن بإمكانه استبدال قبة «الرعاية» متى شاء... بمجرد توجيه الشكر إلى القائد الأعلى للقوات الروسية الرئيس فلاديمير بوتين، فيأمر الأخير جيشه بالانسحاب.

وإذا كان الجديد في مفردات الدبلوماسية الدولية، أن بوتين اتهم أردوغان يوماً بمحاولة «أسلمة» شعبه، فداود أوغلو يرد الصاعين، متندداً بـ «الهمجية» الروسية، وحشر السوريين بين خياري «داعش» أو الأسد. رئيس الوزراء التركي لا يرى لدى قيصر الكرملين سوى سايكس بيكيو جديد، بمواصفات روسية.

أما اللافت في الضغوط الروسية على الرئيس السوري، فهو التلويع للمرة الأولى بإمكان فتح ملف قانوني دولي في شأن اتهام الأمم المتحدة نظام الأسد بارتكاب جرائم حرب. عملياً سيؤدي ذلك إلى استدراج النظام لارتكاب مزيد من «الأخطاء»، وربما لا يسعفه وقت طويل للرهان على نتائج المواجهة الروسية - التركية، وتداعياتها بين البحرين، الأسود والأبيض.